العدد(1368) السنة السادسة -الخميس (13) تشرين الثاني 2008 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

أورهان باموك وأحزان اسطنبول

حاوره: فرانسوا بونيل
ترجمة: د.سندس فوزي فرمان

* ولد أورهان باموك في ٧ حزيران ١٩٥٢ في اسطنبول وترجمت رواياته في العالم بأسره.
*في عام ٢٠٠٥ تعرض لهجمات عنيفة من القوميين الأتراك بسبب كتابه (ثلج) وهو أكثر كتاب سياسي له.
*في ٢٠٠٦ تقلد جائزة نوبل للآداب وبذا فقد جاء بعد كل من الفريدي جالنيك وهارولد بنتر.
يعيش اليوم في نيويورك بدعوة من جامعة كولومبيا، أورهان باموك الحائز على جائزة نوبل للآداب في تشرين الأول ٢٠٠٦ هو واحد من أروع كتاب هذا العصر وهو محط سخط وعقاب دائم للقوميين المتطرفين في بلده الأصلي، تركيا وذلك لأنه صرح بأن (مليون أرمني وثلاثين ألف كردي قتلوا على هذه الأرض إلا إن لا أحد يجرؤ على الكلام)، أتهم بعدها مباشرة (بخيانة الوطن) وبأنه (احتقر علنا الهوية التركية) وتبع ذلك قضية رفعت ضده إلا إنه لحسن الحظ لم يصدر فيها حكما ضده غير أن كتبه أحرقت في الساحة العامة وأصبح اسمه محل السخرية والاحتقار. بعد مقتل الصحفي هرانت دنك في كانون الثاني المنصرم عاد اسم أورهان باموك ليصبح مجددا هدفا لسهام المهاجمين.
ومع ذلك فأن أورهان باموك ليس شخصا استفزازيا أو محرضاً، نشر في أيار الماضي سيرة ذاتية مشوقة بعنوان (اسطنبول، ذكريات مدينة) يروي فيها مسيرة شاب في قلب مدينة اسطنبول والحقيقة إن المدينة هي البطلة الحقيقية للكتاب.

■ كيف حالك؟
– أحسن حالا الآن. أقيم في نيويورك منذ أسابيع وذلك ضمن إطار دعوة قدمتها جامعة كولومبيا، هذه هي أول تجربة لي في التدريس بل إنها المرة الأولى التي أمارس فيها مهنة ما فأنا لم أفعل شيئاً طوال حياتي غير الكتابة.
بالنسبة لي فإن مجيئي هنا يمثل عودة إلى الأصول حيث إنني هنا وفي غرفة طالب صغيرة كتبت روايتي (الكتاب الأسود)، لم أكن وقتها أملك أي مال بل إنني كنت بالكاد أجد ما أكله وكنت أقرأ الكتب واقفا في ممرات المكتبات.

■ ها أنت اليوم تعود مجدداً، متوجاً بجائزة نوبل للآداب فما الذي يغيره ذلك؟
– لنتحاشى الكلام الذي ليس له معنى. أولا ما تغيره جائزة نوبل في حياتك هو حسابك في البنك، بالتأكيد إن هذه الجائزة تشريف عظيم وبالنسبة لي خصوصاً فأنا أول تركي ينال هذه الجائزة.. أنا سعيد جدا بذلك، إلا إن الجانب الآخر للأمر هو أن تسلم هذه الجائزة يفترض أن أتحول إلى دبلوماسي وهذا أمر شائق علي وذلك لأن ليس في شخصيتي أي ميل لحياة الأضواء والمقابلات إنما بطبيعتي أميل إلى الوحدة والإبداع، الآن أنا مدعو في العالم كله لإعطاء رأي فيما يحدث في عالم السياسة وهذا يضايقني حقيقة فأنا كاتب ولست معلقا سياسياً.. يبقى حصولي على هذه الجائزة في وقت مبكر خلصني من الآن فصاعدا من سؤال الصحفيين الدائم عن هل آمل بالحصول عليها.

■ ألا تعتقد بأن من يتسلم جائزة نوبل تناط به مسؤولية أكبر؟
– يوجد هنا سوء فهم فأنا لا أعتقد إنه بمجرد تسلمي لجائزة نوبل سيحولني إلى إنسان آخر مختلف عما أنا عليه أي إنني سأبدأ فجأة بالحديث عن السياسة فأنا حقيقة لا أحب ذلك. وكذلك فإننا لا نصبح حاملين لقيم أخلاقية أكثر أو أقل بعد تسلمها، ولا أستطيع أن أدعي إن مسؤوليتي هي إنقاذ العالم أو تغييره من خلال الخطابات السياسية؛ إنما مسؤوليتي هي الاستمرار في كتابة الروايات وهذا هو السبب وراء تسلمي الجائزة وليس أسباباً سياسية.

■ ومع ذلك فهذا ما يلمح له بعض من خصومك في تركيا...
– هذا صحيح إلا إن الدافع وراء هذه الهجمات هو أما الغيرة أو الجهل بالوسط الأدبي. على كل حال هذه الجائزة لا تغير شيئاً في رؤيتي لحياتي فأنا لا أعتزم تغيير العقول والضمائر، كل ما أريده هو أن أصحو كل صباح كي أكتب الحكايات.

■ لكن ألا تعتقد بأن الأدب يستطيع بشكل ما أن يغير العالم؟
– ليس لدي مثل هذه الادعاءات فأنا لا أكتب كي أغير العالم إنما أكتب لأنه يتوجب علي أن أفعل ذلك وهذا كل شيء. أنا كالطفل الذي يعشق لعب كرة القدم لكنك تسأله إذا كان يريد تغيير العالم حينما يضرب الكرة؛ كلا إنه يلعب لأن هذه اللعبة هي الوسيلة الوحيدة التي وجدها كي يحيا، فإذا حصل بعد ذلك وأصبح هذا الطفل بطلا وإن ذلك غير بعض الأشياء في العالم فهذا أمر آخر. فلنتكلم بجدية؛ هدف الدب ليس خدمة الإنسانية، على الكاتب أن يسبر أعماق روحه وخياله والانقلاب الحقيقي يحصل عندما يصل الكاتب إلى نهاية مغامرته تلك، فعندما يغوص الكاتب في أعماق النفس البشرية سيستطيع أن يكتب كتباً وهذه بدورها قد تكون مفيدة للإنسانية بشكل أو بآخر، إلا إن هذا الأمر لا يجب أن يصبح هاجس الكاتب فخدمة الإنسانية هي نتيجة لكنها ليست هدفا بحد ذاتها.

■ تركت اسطنبول بعد تلقيك تهديدات بالموت من قبل القوميين المتطرفين فهل ستعود إليها؟
– أجل؛ أنا لا أضخم مثل هذه الأحداث فقد كنت دوما محط هجمات كتلك لكن لم يكن ذلك أبدا بسبب كتبي فهؤلاء الذين يهددوني لا يقرؤون كتبي! في الحقيقة إن أقوالي أثناء المقابلات هي السبب وراء هذه الهجمات ضدي وليس عملي كوني كاتباً، فكثيراً ما تغيرت أقوالي وتم تفسيرها بشكل سيء ومن قبل أشخاص تدفعهم الغيرة في الغالب أو أشخاص غاضبون.

■ هل تخاف من الموت؟
– بالطبع. إلا إننا يجب أن نموت في يوم ماً.. أليس كذلك؟ أعتقد إن أحد الملامح المدهشة للشخصية الإنسانية هي قدرتها على تناسي المستقبل وهذا ما يسمح لنا أن نكون متفائلين. على الصعيد الشخصي هذا هو ما يساعدني على أن أحتفظ بابتسامتي وأن أحيا....فأنا لازلت من الناجين!.

■ اسطنبول في قلب كل أعمالك.. وتكتب قائلاً: بأن الأمر يتعلق بمدينة (بين عالمين)، كيف يمكن العيش مع هذا التمزق؟
– هناك عدد كبير من الكليشات المرتبطة بتركيا وباسطنبول وبعضها حقيقي، أما فيما يخص اسطنبول فيجب أن نفهم إن هذه المدينة ثقافيا هي مدينة من أوروبا الشرقية مزروعة في الشرق، وطبيعة اسطنبول هي إنها مزيج بين الشرق والغرب لكن حينما تعيش هناك حياتك اليومية تغيب هذه الحقيقة عن بالك، يجب أن تترك المدينة كي تنتبه إلى هذا الأمر أو أن تكون غريبا عنها أو سائحا فيها. لدينا ثقافتين ولكن أيضا روحين.

■ هل هذه الطبيعة المزدوجة خطر أو فرصة حسنة؟
– بالنسبة لي هي فرصة حسنة. فنحن كثيرون في اسطنبول ممن نقتات على ما تقدمه لنا كل من الثقافتين. إلا إن هناك آخرين – وهم أقلية – يرون عن هذه الثنائية حالة غير محتملة ويعيشونها كحالة من حالات انفصام الشخصية، والعديد من مشاكل الهوية التي يعيشها بعض سكان المدينة مرتبط تحديدا وبعمق مع هذا الأمر، حيث نجد أنهم يعيشون حالتين متناقضتين جدا مع ذواتهم، وبالنسبة للبعض أيضا فإن مثل هذه الثنائية تصل حتى إلى التناقض بين رغبتهم وأملهم بالديمقراطية ورفضها، إلا إنني على العكس من ذلك أرى إن غنى وعمق الثقافة التركية تعتمد بشكل أساسي على هذا الخليط بين هاتين الحضارتين وبين هاتين الروحين. ولد هذا المزيج من رحم العواصف إلا إنه في خضم العواصف تزدهر الثقافة الحقيقية.

■ يقال دوما عن نيويورك بأنها لا تمثل أميركا فهل تقول الشيء ذاته بخصوص اسطنبول؟ أي إنها لا تمثل تركيا؟
– في الواقع فإن اسطنبول كمختبر وخصوصا فيما يتعلق بالسياسة وبالديمقراطية، وفي كل الأحوال أنا احذر من هذه العجرفة الثقافية التي تتعمد القول بأن المدينة التي نعيش فيها (سواء نيويورك بالنسبة للأمريكيين أو اسطنبول بالنسبة للأتراك) تختلف عن بقية البلد أي بمعنى إنها متفوقة على الباقي، وإذا أردت أن أؤكد إن اسطنبول تختلف عن بقية تركيا فهذا لأنني أولا كاتب اسطنبولي فقد ولدت في هذه المدينة وكبرت فيها وأنا أكتب عن هذه المدينة منذ أن تعلمت استخدام القلم.. الفروقات التي أحددها هي سمات مميزة خاصة بهذه المدينة أكثر من كونها أشياءاً لا نراها في غيرها لأن بصراحة اسطنبول مدينة تركية كغيرها ودعك من كلام السياحة فاسطنبول هي مدينة مختلطة شرقية وغربية إلا إنها مدينة تركية وتركية بعمق، هناك ١٠ ملايين شخص يسكنون هذه المدينة أي أكثر من سكان نيويورك! إلا إن السياح لا يذهبون إلا إلى ركن واحد منها وهو الذي يسكنه مليون شخص فقط، هذا المليون لا يستطيع أن يموه التسعة ملايين الأخرى والذين هم أقرب إلى ملايين الأتراك الآخرين الموزعين في المدن الأخرى، تلخص اسطنبول كل مشاكل تركيا، لا تنس أن بعض سكان اسطنبول هم من بين السكان الأكثر فقرا في البلاد ولا يجب أن تخفي المدينة السياحية ملامح المدينة الأخرى الحقيقية، كل المشاكل التي تعاني منها تركيا موجودة في اسطنبول من الهجرة إلى الدين إلى القومية.

■ هل هناك إذا محاولة في جعل اسطنبول المدينة النموذج على حساب بقية المدن؟
– في الحقيقة إنها محاولة غربية على وجه الخصوص. أليس كذلك؟ بالتأكيد فإن الأحياء السياحية أكثر تطورا وأكثر حداثة وتفتحاً وحتى إنها أكثر وعيا من الناحية السياسية بالقياس للأحياء الأخرى إلا إنها ليست أكثر أهمية وتشويقاً، لقد ترعرعت في اسطنبول التي لا يزورها السياح وهي في الحقيقة لها نفس نسيج أي قرية من قرى الأناضول وهذا ما يجب الاعتراف به، هناك جانب معتم وقديم من هذه المدينة هو الذي يجعل التعايش بين هذين العالمين مثيرا للاهتمام لكنه خطر في الوقت نفسه.

■ في أي الأجواء تربيت؟
– هذا الكتاب هو سيرة ذاتية إلا إنه أيضا تدوين لتاريخ اسطنبول في الخمسين سنة الأخيرة. أروي في هذا الكتاب التاريخ الثقافي لمدينتي دون أن تتقدم السيرة الذاتية مطلقا على بقية الكتاب. المشكلة هي إن السيرة الذاتية هي فن ما لا يقال؛ هي فن القص وفن الكتابة باستخدام الحذف أو كما يقال في السينما هي اختيار المشاهد التي يجب أن تبقى محفوظة للمونتاج. كان يمكن أن اكتب عشر مجلدات عن حياتي وعشر مجلدات عن مدينتي؛ إلا إنني عندما احتفظت بالأشياء المشتركة فقط بين الاثنين لم يبق من ذلك كله سوى عمل واحد هو هذا الكتاب الذي بين يديك. فأنا لم احتفظ سوى باللقطات التي كانت لحظات انعطاف وتفتح في نفسي على الفن وعلى السياسة، كل هذه اللقطات حصلت في مكان ما من المدينة وفي زمن محدد من تاريخها. لا أدعي هنا إنني كتبت تاريخ اسطنبول إنما أريد أن أبين كيف إن اسطنبول كان لها الأثر الحاسم في حياة شاب كان يريد ومنذ زمن بعيد أن يصبح كاتباً.

■ ومع ذلك فأنت تروي انك في البداية كنت تريد أن تكون رساماً..
– أجل في الحقيقة. بين سن ٧ سنوات و ٢٢ عاما كنت أريد أن أكون رساما. وأنا أروي هنا كيف إن اسطنبول زرعت في الرغبة بأن أصبح الرسام الذي لم أكنه. حينما أصبحت صبيا وكنت أتجول في شوارع المدينة كنت أصور المناظر والناس وأعود إلى بيتي متصورا إنني بيسارو أو أوتريلو! بعد ذلك بدأت أتساءل عن معنى جمال هذه المدينة وعندما بدأت أتعمق في هذه الفكرة وجدت في طريقي نصوص كبار الكتاب الفرنسيين في القرن التاسع عشر ومنهم بودلير على وجه الخصوص، فبالنسبة له يتدخل المنظر بشكل مباشر في تحديد المعنى بالنسبة لعقل الشخص المتأمل، عندما بدأت أتعمق أكثر في هذه الفكرة وأحاول أن افهم لماذا كان لاسطنبول هذا التأثير الكبير في نفسي؛ خلال هذا البحث وجدت في طريقي عمالقة آخرون من كتاب الأدب الفرنسي وهم فلوبير ونرفال وغوتيه وقد زاروا اسطنبول وكتبوا كثيرا عن هذه المدينة وبذلك أثروا في الكتاب الأتراك وحفزوهم على الكتابة بدورهم عن هذه المدينة، وهكذا فإنني عندما قرأت لهؤلاء علمت إن الكتابة هي أيضا رسم بشكل من الأشكال وتجد الرسم والرسامين حاضرين دوما في رواياتي. الكاتب رسام يستخدم الكلمات بدل الألوان والقلم بدل الريشة.

■ لكن لماذا استبدلت الريشة بالقلم؟
– أحد أسباب رغبتي في أن أصبح رساما هي رغبتي في قضاء ساعات لوحدي في المكتب يومياً وهذا الامتياز يتمتع به الكاتب أيضا. أحب هذه الوحدة ففيها أجد متسعا لكل أحلام اليقظة.

■ ما هو المفتاح لفهم اسطنبول؟
– التعقيد.. نحن نعيش في مجتمعات تطالبنا بأجوبة مباشرة وبسيطة عن كل شيء، اسطنبول مدينة تذكرك دوماً بأن هذه الرغبة ليست إلا خرافة حيث لا يوجد إلا التعقيد جواباً على كل الأسئلة التي تعذبنا، اسطنبول هي التعقيد بعينه ففيها يجتمع وجه وملامح المدينة الإسلامية التقليدية وملامح المدينة الأوربية الليبرالية، يكمن مفتاح المدينة في هذه النصيحة فعليك أن تحترم أماكنها المعتمة وأسرارها، فكلما هربت منك المدينة كلما ستفهمها أكثر.
وهذا تناقض مطلق وأنا أسلم بذلك.. أنت تأتي إلى اسطنبول لتتعرض إلى المدينة لا كي تجتث منها أسرارها فأنت في هذه الحالة لن تخرج من دون أن تتعرض للعقاب والأذى.

■ هل يعني ذلك إن اسطنبول قابلة للذوبان في أوروبا؟
– بالنسبة لي اسطنبول جزء من أوروبا وفريقي المفضل لكرة القدم غالاتاساري يلعب في كأس أوروبا.. وأن سألتني إن كانت اسطنبول في أوروبا سأجيبك بأنه يكفي النظر إلى خارطة العالم كي تتحقق من ذلك، لكن إذا تكلمنا بجدية فنحن حتى هذا اليوم لم نزل من دون مستوى أوروبا، أنا اعتقد أن تركيا من الناحية الثقافية يجب أن تكون قادرة على الالتحاق بالديمقراطيات الأوروبية في الإتحاد إلا إن ذلك يجب أن يحصل من دون أن ننفي ما هي عليه حقيقة، إن رغبة تركيا في الانضمام إلى الإتحاد الأوروبي تضع أمامنا المشكلة الآتية ألا وهي ما هو تعريف الثقافة الأوروبية؟ هل هي الدين؟ هل هو التاريخ؟ هل هو الجغرافيا؟ أو إنها شيء آخر؟ تنتمي اسطنبول إلى أوروبا تاريخياً وجغرافياً، إلا إن السؤال الذي يجب أن نجيب عليه جميعاً (سواء نحن الأتراك أو شعوب أو شعوب أوروبا الأخرى) هو الآتي: كيف نرى مستقبل أوروبا؟

عن مجلة (لكسبريس)

السارد والتاريخ .. إضاءة المناطق المعتمة في الفن

سعد محمد رحيم

حتى وهو في ذروة تورطه مع الخيال يتحرش السارد بالتاريخ، فالتاريخ يتلبسه ويفاجئه بين لحظة وأخرى. ولا نص سردياً يمكن أن يتملص من بعض سطوة التاريخ مهما سعى إلى الاكتفاء بذاته. والتوسل بالخيال قد يكون محاولة لمثل هذا التملص، لكنه أيضاً لا يستقيم ما لم يكن مدعوماً بفكرة عن التاريخ، أو بإيحاءات منه، طالما أننا في نهاية المطاف نُعنى بالتجربة التي يستحيل أن تتبرأ من رحمه التاريخي.
التجربة (سواء في الحياة أو الكتابة أو كلاهما معاً) ومهما كانت ضئيلة وتافهة لابد أن تكون متشربة بزخم الوجود ونسغه، والسارد وجود بذاته ولذاته، لا يقدر أن يفعل (يسرد) من غير أن يغدو حضوراً في التاريخ ووعياً به.
يخبرنا غابريل غارسيا ماركيز، وهو كما عرفناه، كاتب سرديات ساحر، أنه قرأ آلاف الوثائق قبل أن يكتب (الجنرال في متاهته)، وهذه رواية تحكي تفاصيل معظمها متخيلة عن الشهرين الأخيرين من حياة الجنرال بوليفار (شخصية تاريخية حقيقية، محرر مناطق شاسعة من أميركا اللاتينية في القرن الثامن عشر).
فيما أمضى تولستوي أربع سنين يجمع الوثائق ويقرأ عن حملة نابليون على روسيا قبل أن يشرع بكتابة رواية (الحرب والسلام) التي هي عمل تخييل كبير يستند إلى وقائع تاريخية متشابكة.
نقرأ (المسخ) لفرانز كافكا فنصدم بهذا الفيض العارم من الخيال.. الخيال وقد اشتط بدرجة عالية.. أن يستيقظ أحدهم (غريغوري سامسا) صباحاً ويجد نفسه وقد تحوّل إلى حشرة كبيرة، ولكن قبل أن يتفجر خيال كافكا كان قد خبر العالم البيروقراطي القاسي الذي يمسخ الكائنات البشرية.
ورواية (المسخ) التي هي نص أدبي أولاً، تحقق بجدارة شرط السرد الروائي الأسبق، كما يحدده تودوروف في أن يكون عملاً تخييلياً، غير أن الرواية إلى جانب ذلك ترنيمة تراجيدية مؤسية عن اغتراب الكائن وتشوهه في ظل قوانين نظام رأسمالي مادي لا يعرف الرحمة.
وفي رواية أخرى لكافكا هي (القصر) يحفز السرد وعينا القرائي في أن نمضي إلى ما وراء الحدث المسرود حتى نجدنا إزاء التاريخ وجهاً لوجه.. إزاء تلك العلاقة الإشكالية بين الإنسان والإله، أو بين الفرد ومؤسسة الدولة، أو بين الأنا والأب، كما لو أن السارد يرتدي جبة القديس وقبعة السياسي والإزار الطبي للمحلل النفسي في آن معاً، بعدما وضعوا (ثلاثتهم) في موقف مستعص ومؤشكل.
أما خوزيه ساراماغو في رواية (العمى) فيمضي في اتجاه آخر، حين يتفتق خياله عن جرثومة معدية غامضة ومدمرة تسبب العمى في مدينة تفقد توازنها شيئاً فشيئاً، وتتخبط في مأساة وجودية غريبة، فالعمى رواية عن المتاه، عن رعب الوجود، عن تخبط الإنسان في الكون. ففي هذه الرواية شرارة رمزية لافحة، إشارة إلى أننا مهيئون للضلال، لفقدان الاتجاه، إنها رواية تنطوي على رؤية قيامية، كأننا في اليوم الذي يسبق يوم الدينونة.
لا يعلمك السارد أين تقع أحداث روايته ومتى، وكيف على وجه التحديد، فأنت في مدينة تبدو كما لو أن لا جدوى من أن تسأل فيها وتسوّغ وتفهم، فالرواية تكاد تكون معلّقة بلا خلفية سياسية وتاريخية، وبلا جذر مجتمعي مشخص.. ولكن؛ أهي كذلك حقاً؟
إن ما يُسقطه ساراماغو من حيثيات الواقع أولاً هو الأسماء.. لا حاجة للأسماء حيث تضيع الحميمية والمشاعر المرهفة ويضطر الإنسان للتنازل عن كل شيء بما في ذلك كرامته واحترامه لنفسه، فهو هنا الغائب/ الحاضر في الزمان والمكان، وهذا هو الاغتراب في أصفى تجليه.. إنك لست في مكانك وزمانك، كما أنه لم يعد لك أيما مكان وزمان سوى ذاك الذي كان في الماضي، أي الذي يقبع في زوايا الذاكرة، غير أن ضغط الحاجات الآنية وهموم الحاضر يجعل من العسير على المرء أن ينغمس كثيراً في التذكر.. إن ما عليه فعله هو أن يأمل بعدما اكتنف حياته اليأس والقنوط.
بيد أن (العمى) تنطوي على فكرة ناضجة عن الحرية والحب والموت، أو بعبارة أخرى عن موضوعات الحياة الكبرى.. إنها رؤية فلسفية ينقلها لنا الروائي عبر سرد باهر.
لم يتركنا ساراماغو في منتصف الطريق.. لم يرد لنا أن نظل في العماء، وإذن فهي ليست رواية متشائمة.. إن المشاعر الإنسانية خضعت في هذه الرواية لاختبار صعب ومعقد، وقد أظهرت التجربة هذه، البشرَ على حقيقتهم.. بينت مظاهر قوتهم وضعفهم.. الخير فيهم والشر.. الحب والكراهية.. العطف والتسامح والشفقة والقسوة.. أراد ساراماغو أن يهبط أعمق داخل النفس البشرية ومن ثم في دهاليز التاريخ ليكشف عن حقيقة المعدن هناك، عن المنبع الذي يصدر منه مظاهر سلوكنا كله، وحركتنا في الواقع.
أكانت شخصيات الرواية عُمياً حقاً؟ أكان الوباء حقيقة؟ أم أنه وهم تلبّس الجميع؟ أكانوا بحاجة إلى هذه التجربة الفريدة المعقدة والصعبة ليغيروا من مفاهيمهم ورؤيتهم لأنفسهم وللعالم، أو لفكرة الحياة نفسها؟
وإذ يكون الوباء،هنا، هو العمى فإنه في رواية (وقائع حارة الزعفراني) لجمال الغيطاني يكون العجز الجنسي الذي يتفشى نتيجة رقية سحرية من صنع شيخ منزو في حجرة صغيرة.. من تلك الحجرة يخرج الوباء مهدداً العالم كله، فتفقد الحياة معناها لأنها نظام متكامل إن ضاع منه أي جزء أصابه الخلل، أو ربما العطب.
والغيطاني في روايته هذه، مثله مثل ساراماغو في (العمى) وألبير كامو في (الطاعون) يشرّح الواقع والوجود الإنسانيين بمبضع الخيال، بفكرة متخيلة عن وباء ضار يجتاح مدينة.. فكرة تنزع عن الواقع التاريخي قشرته، وتكشفه في عريه وهشاشته.
ما يشغل الروائي، أكثر من أي شيء آخر، هو المسكوت عنه في الكتابة التاريخية.. ما أهمله المؤرخ، ولم يجده ضرورياً؛ المهمّش والعابر والممحو والمستور والمغيّب لسبب ما، وأحياناً المشكوك فيه وغير المؤكد.. هذا ما فعله في سبيل المثال ساراماغو في (الإنجيل يكتبه المسيح) حين راح يرمم ويرقّع ما تفتت من نسيج السرد الذي تركته كتب التاريخ والسير والأناجيل من تفاصيل سيرة السيد المسيح، «فكان على ساراماغو (الروائي) أن يفترض أحداثاً وتفاصيل تعزز الجانب الأرضي/ البشري من حياة يسوع المسيح فأخضع الميتافيزيقيا لمعايير التاريخ فكان ما هو سماوي ومفارق يُسوَّغ عبر السرد من منظور ما هو واقعي ومحايث».
وبذا أنجز واقعاً آخر معادلاً بسلطة المخيلة التي تستطيع أن تنكّل بالتاريخ المكتوب من أجل الوقوع على الحقيقة، أو على وجه آخر لها.
قد تبدأ رواية ما بصورة تتفتق في ذهن كاتبها.. صورة ذهنية متخيلة تصبح نواة تتكون حولها مدارات السرد الفعالة.. يشير وليم فوكنر إلى صورة ذهنية من هذا القبيل؛ فتاة صغيرة (كادي) فوق شجرة تحكي عمّا يجري خلف السياج داخل منزل أهلها لأطفال، وهم واقفون تحت، ينظرون إليها ويرون سروالها الداخلي الملطخ بالوحل.. من هذه الصورة . النواة رسم فوكنر عالم رائعته (الصخب والعنف)، تلك الرواية التي عكست حالة انحطاط الجنوب الأميركي وطبقته الارستقراطية عقب هزيمتهما في الحرب الأهلية الأميركية، فالواقعة التاريخية تغلغلت حسياً ومنطقاً وروحاً في تضاعيف النص السردي المتخيل، وأعطته فحواه، وفيما بعد بدأ ماركيز من صورة ذهنية متخيلة مختلفة، وهو يشرع في كتابة (مائة عام من العزلة)؛ الكولونيل بوينديا، واقفاً أمام فصيل الإعدام يتذكر يوم أصطحبه أبوه إلى سيرك جوّال حلّ بالبلدة، ليرى الثلج للمرة الأولى في حياته.. من هذه الصورة انطلق ماركيز ليبني نص روايته تلك التي تصوّر في جانب منها الصراعات الدامية اللامجدية بين قوى شتى (أحزاب وعصابات وطلاب سلطة) في التاريخ الحديث لأميركا اللاتينية.
السارد مؤرخ من نوع خاص.. مؤرخ يتجاوز ما يهتم به المؤرخون الأكاديميون إلى ما وراء ذلك، ليُعنى بالثغرات والفجوات والهوامش المنسية والزوايا المعتمة التي تتجاهلها، في الغالب، الكتابات التاريخية التقليدية.
والسرد، في النهاية، محاولة لملء وترميم تلكم الثغرات والفجوات وإبراز الهوامش المنسية وإضاءة المناطق المعتمة بوساطة الفن.

متابعة

اختتام مهرجان السليمانية للفنون المسرحية 2008

المدى الثقافي
السليمانية

اختتمت مساء الأحد الماضي، فعاليات (مهرجان السليمانية للفنون المسرحية ٢٠٠٨) الذي تنظمه سنوياً، مديرية الفنون المسرحية في وزارة الثقافة/ حكومة إقليم كردستان العراق، حيث أقيم المهرجان للفترة من ٣-٢٠٠٨/١١/٩ وعلى خشبة مسرح قاعة الثقافة في مدينة السليمانية.
وقال الفنان (سفين أنور شكري) مدير الإنتاج في المديرية: بغية تنشيط الحركة المسرحية في المدن والاقضية التابعة الى محافظة السليمانية، فقد قررنا أن تخصص هذه الدورة من مهرجاننا المسرحي لعروض تلك المدن.
افتتحت فعاليات المهرجان بتضييف مونودراما (أوجاع ما وراء الشباك) أنتاج مديرية الفنون المسرحية- السليمانية، تأليف وتمثيل وإخراج (شوان كريم)، وتوالت العروض المشاركة في المهرجان، فمن مدينة حلبجة قدمت (فرقة مسرحيي قضاء حلبجة) مسرحية (بيت على الخرائب) قصة صبا حلبجي، إعداد وإخراج بارزان حامد وتمثيل كوجر نوري وريبوار فرج.
ومن مدينة جمجمال قدمت (فرقة مسرحيي جمجمال) مسرحية (القمامة) تأليف عباس أحمد حايك، إخراج محمد كرمياني، تمثيل بختيار عبد الرحمن وآوات جلال وفاخر عز الدين ودلشاد خورشيد وإسماعيل إبراهيم وفؤاد حمه خان وئالا غازي.
وقدمت الفرقة المسرحية في مدينة دربنديخان مسرحية (العميان) تأليف موريس ميترلينك، الترجمة للكردية دولار قرداغي، إخراج حسن محمد وتمثيل آراس عبد الرحمن وآشنا عارف علي وسامان عبد الرحمن وبلين هادي وعطا محمد وكاروان جمال وآرام عبد الرحمن.
ومن مدينة سيد صادق، قدم (فريق سيد صادق المسرحي) مسرحية (بيت السرطان) قصة نجاة نوري وإعداد وإخراج ياسين سعيد، تمثيل يوسف عبد الله وجبار حمه غريب وغفور رحمن وسلمان صالح ونجاد نجيب وكاروان كمال وأورانوس ياسين.
وقدمت الفرقة المسرحية التابعة لمدينة كلار مسرحية (عنبر رقم ٦) تأليف أنطوان تشيخوف وإعداد دولار قرداغي وإخراج محمد حسن، تمثيل هونر حسن رشيد وكوران نامق وبختيار أحمد كاكه وآزاد أحمد ولي ومحمد صابر كمر وسالار محمد صالح.
وفي اليوم الختامي للمهرجان قدمت (فرقة أستوديو الممثل) من السليمانية مسرحية (موت صامت) بانتوميم سيناريو وإخراج كوران أكرم، تمثيل بان غازي وداركو لطيف وسرخبيل أوميد وريباز خالد وريبين سامال وهلشو عثمان، تلا العرض قراءة البيان الختامي للمهرجان ونتائج المهرجان من قبل لجنة التحكيم المؤلفة من (كامران سبحان ودلير أحمد ونهرو محمد وبختيار جلال وكاروان عبد الله صوفي) وكانت كالأتي:
– جائزة أفضل ممثل، منحت مناصفة بين (ونر حسن) عن دوره في مسرحية (عنبر رقم ٦)، و(سامان عبد الرحمن) عن دوره في مسرحية (العميان).
– جائزة أفضل ممثلة، منحت الى (آشنا عارف) عن دورها في مسرحية (العميان).
– جائزة أفضل إضاءة، منحت الى (أمين مرزا) لمساهمته في جميع العروض.
– جائزة أفضل سينوكرافيا، منحت الى مسرحية (بيت على الخرائب).
– جائزة أفضل إخراج، منحت الى (محمد حسن) عن إخراجه لمسرحية (عنبر رقم ٦).